المحاضرة رقم09 : ممالك السودان الشرقي

ق 1هـ– ق 13هـ / قه7–ق 18م

ننتقل بالحديث إلى أقاليم السودان الشرقي وهو أحد أجزاء السودان الممتدة من البحر الأحمر إلى المحيط ،ويعد تاريخ هذه المنطقة مهم ومعقّد لتداخل الأحداث التاريخية وطول مدة الفتح الإسلامي ، ويمكن تقسيم هذا الإقليم عمومًا إلى عدة أجزاء أهمها بلاد النوبة و البجة وبلاد الحبشة ، الزيلغ ، الفونج ، هضبة دارفور وغيرها .ونعني بالسودان الشرقي المنطقة الواقعة جنوب مصر و الصحراء الكبرى الممتدة إلى خط عرض 10و 11 شمالا و من البحر الاحمر حتى إقليم دارفور في الغرب .[1]

يطلق على هذه المنطقة اِسم سودان وادي النيل والتي لم تكن مجهولة عند العرب قبل الإسلام ؛ بحيث ربطت التجارة بينهم فاتخذوا عدة طرق منها ماهو بحري عبر باب المندب إلى الحبشة ومنها ماهو بري عبر صحراء سيناء إلى مصر ومنها جنوبًا إلى السودان وبظهور الإسلام في مصر أصبح واد النيل معبرًا آخر للعرب والإسلام إلى بلاد السودان سلكته الجيوش والقبائل العربية إمّا بقصد الفتح أو بقصد تسريب الإسلام بالطرق السلمية [2].

وقد سيطرت على السودان الشرقي ممالك مسيحية هي مملكة النوبة (مقرة) أو "دنقلة" في الشمال ، مملكة " علوّة " في الوسط ومملكة الحبشة في الجنوب ، فاعتبرت حجر عثرة في وجه المسلمين[3] و قد بدأ اللقاء بين المسلمين وهذه الدول المسيحية منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حين أرسل هجرات إسلامية إلى بلاد الحبشة المسيحية وقد عاشوا في سلام وأمن وحرية ، ثم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بدأت تظهر بعض الإغارات من الأحباش في البحر الأحمر والتي وصلت إلى بلاد الحجاز ممّا اضطر الخليفة بتوجيه أمر إلى والي مصر "**عمرو بن العاص** "بإرسال سرية جيش ذلك عام 21هجري، لكنها فشلت بالوصول إلى جزر دهلك (عدول) ، ثم بعد ذلك وا صل والي مصر "**عبد الله بن سعد بن أبي سرح** "سنة 31هـ في تجهيز جيش للوصول إلى دنقلة عاصمة النوبة ، لكن بلاد النوبة طلبت المهادنة والصلح ؛ فوقعت أول هدنة بين المسلمين والمسيحين اصطلح عليها إسم معاهدة " **البقط** " وممّا جاء فيها فتح المجال والطريق أمّام التجار المسلمين إلى الجنوب من النوبة وترك الحرية لهم في ممارسة شعائرهم

---

1 - يوسف فضل الله حسن ، **مقدمة في تاريخ ممالك الاسلامية في السودان الشرقي 1450–1821**، ط3، معهد البحوث و الدراسات العربية ، القاهرة ،2003 ، ص9 .، ينظر أيضا ، موجز دائرة المعارف ، المرجع السابق ،ص5952.

2 – عبد الله سالم محمد بازينة ، ،مرجع سابق ،ص39

3– يوسف فضل الله،المرجع نفسه ، صص 11–12.

الدينية والإبقاء على المسجد في "**دنقلة**" كما يسمح للنوبيين الدخول لمصر مجتازين غير مقيمين ، و أن يدفعوا 360 من الرقيق كل عام شرط الا يكون بينهم طفلا أو شيخا مقابل الحصول على مايحتاجون من مواد غذائية في مصر ؛ وقد استمر الالتزام وحسن الجوار أكثر من 600 سنة [4]، فكانت فاتحة خير للمسلمين في نشر الإسلام فيما بعد.

وفي حدود دنقلة الشرقية نجد بلاد **البجّة** أو البجاة ، هذه البلاد التي أغارت أكثر من مرة على مصر مثلاً سنة 107هجري فصالحهم **عبيد الله بن الحبحاب** والي مصر ثم أغاروا على أسوان فجهز لهم الخليفة **المأمون** سنة 216هجري جيشًا بقيادة **عبد الله بن الجهم** وانتهى الأمر بعقد صلح جديد. ومن أهم الشروط أن تبقى بلاد البجّة من حدود أسوان إلى مابين **دهلك** و**مصوع** ملكًا للخليفة وأن يؤدي ملك البجّة دفع الخراج ، ثم جهز **أحمد بن طولون** والي مصر حملة أخرى إلى أرض النوبة[5] والبجّة[6] وقد شارك فيها من العرب من بني ربيعة وجهينة الذين استقروا بلاد البجّة والنوبة وتزوجوا من بنات البجّة فانتقل الحكم و الملك لهم فكونوا أول إمَارة عربية إسلامية مقرها أسوان أطلق عليهم لقب **بني كنز** أو **كنز الدولة** و أعلنوا استقلالهم عن الدولة المملوكية سنة 723هـ/1323م ؛ فبدأ التدفق العربي حتى بلاد **الحبشة** ، **دارفور** حتى أرض **علوّة** فكونوا مدينة **أربيجي** على الشاطئ الغربي لواد النيل الأزرق عام 879 هـ/1474م[7]؛وفي مستهل القرن 16ميلادي قضى المسلمون على بلاد علوة المسيحية نهائيًا وبالتالي إنتهى عهد ممالك النوبة المسيحية أو ممالك السودان الشرقي النيلي لتظهر عهد جديد لممالك وسلطنات إسلامية أهمها: [8]

- سلطنة الفونج الإسلامية في سنار 910هـ - 1232هـ/1505م - 1820م
- سلطنة دارفور الإسلامية 849هـ - 1292هـ /1445م - 1875م

---

4 -بشار أكرم جميل الملاح ،مرجع سابق ،صص80-81

5 - **النوبة**: يطلق لفظ النوبة على أجزتء وادي النيل الممتد على جانبي نهلاالنيل بين مدينتي أسوان و الخرطوم الحالية و قسمت الى ثلاثة أجزاء هي وادي النوبة و واالعليا و النوبة الوسطى ،كما يطلق على ممالكها بمملكة كوش.

3 - **البجة** :تعتبر البجة من أقدم العناصر التي سكنت وادي النيل خاصة الصحراء الشرقية و قد اشتهرت منطقتهم بالمعادن كالزمرد و الذهب و قد ارتبط تاريخ البجة بالنوبة جارتها من الناحية الغربية، تمتد من جنوب مصر الحدود الحبشة في الجنب.ينظر :أحمد حسين عبد الرحمن ،**الدلالات الاثرية للامتداد السياسي و الديني لدولة الفونج بين الشلالين الرابع و الثالث** ، رسالة ماجستير، قسم الآثار،كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ،2004 ،ص34 .

7 - عطية مخزوم الفيتوري ، المرجع السابق ، ص169.

8 - - عطية مخزوم الفيتوري ، المرجع السابق، ص 170.

- سلطنة بلاد الحبشة والزيلغ – منطقة القرن الإفريقي .
- سلطنة شوا الإسلامية 283 - 684هـ.